التَّنْمِيَةُ الْمُسْتَدَامَةُ فِي السنة الشريفة ، الْحَدِيْثِ الشَّرِيفِ:
((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)) أنموذجا

Sustainable Development Through the Noble Sunnah : A Reflection on 'O Boy! I Will Instruct You in Some Matters .Be Watchful of Allah ،He Will Preserve You' As Simple

د. سلور اشريتش

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن- القراءات

جامعة الوصل -كلية الدراسات الإسلامية – قسم الدراسات الإسلامية

الباحثة: فاطمة حسن محمد العبيد

كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الوصل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأكرمه غاية التكريم، حيث جعله خليفة في أرضه وأمره بعمارتها وإصلاحها، والسعي في الحفاظ على خيراتها، واتخاذ الوسائل الممكنة لاستدامة تلك الخيرات، وعدم التفريط في مواردها، فإنها لم تخلق لجيل واحد، وإنما قدر الله فيها أقواتها؛ لتكفي الجيل الحاضر وما يتلوه من أجيال إلى قيام الساعة، كل ذلك ليعيش هذا الإنسان في سعة وبحبوحة بحيث لا يشغله شاغل عن التوجه إلى الله تعالى بقلب صاف بعيدا عن الهموم، والخوف، والغل، والحسد إلخ.

والصلاة والسلام على خير البرايا وسيد السادات وسبب السعادات، الذي سن للبشرية سننا مشرقة، تأمر الإنسان بالخير والإصلاح، وتنهاه عن الشر والإفساد، ويطمئن من الخوف في الحاضر والمستقبل. وإن من التزم وصايا هذا النبي العظيم ففعل الخير واجتنب الشر فقد صار مؤهلا أن يسهم إسهاما عظيما في تحقيق التنمية المستدامة.

إن هذا البحث يتناول سببا مهما من أسباب تلك التنمية؛ ألا وهو الإنسان العنصر الأساسي في التنمية والهدم، ونبحث خلال الحديث الشريف تحقيق السلام الداخلي لكيانه؛ مما يجعله عنصر بناء وتنمية (شخصية إيجابية)، ويبعده أن يكون عنصر استهلاك مفرط واستنزاف خيرات الأرض ونعمها (شخصية سلبية).

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة لأمور منها:

- تناولت الدراسة حديث النبي ﷺ وهو واحد من الأربعين النووية، موجز جامع شامل بليغ.
- تعلقه بأبرز الموضوعات المطروحة في الساحة حاليا ألا وهو التنمية المستدامة.
-بيان وتوضيح الدرر النبوية في مجال بناء الإنسان سليم العقيدة، مفيد في المجتمع، نافع لنفسه ومحيطه.
- استنباط السبل والوسائل التي تحقق للإنسان الطمأنينة والتقدم والازدهار من هذا الحديث العظيم؛ سعيًا للمحافظة على حقوقه وحقوق من بعده.

مشكلة البحث:

يتوقع أن تجيب هذه الدراسة عن التساؤلات الآتية:

-ما مفهوم التنمية المستدامة؟

-هل السنة النبوية تشمل أسس التنمية المستدامة؟

-هل السنة النبوية قابلة لإعادة قراءتها وفق متطلبات العصر ومنها التنمية المستدامة؟

-ما وسائل التنمية المستدامة في تكوين الإنسان من خلال حديث: ((**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**))؟

أهداف البحث:

-بيان مفهوم التنمية المستدامة، ومرادفاتها، وأركانها.

-الإشادة بدور السنة النبوية في حل مشكلات العصر الراهن لتحقيق التقدم والحياة الآمنة للإنسان والبشرية، وأنها تشمل أسس التنمية المستدامة.

– تأكيد بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وأن السنة النبوية صالحة لإعادة القراءة وتقدم حلولا واضحة لكل مستحدثات البشرية.

–استنباط مسالك التنمية المستدامة في ضوء الحديث الشريف: ((**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**)) وترسيخ العقيدة الصحيحة منذ نعومة أظافر الغلام، إضافة إلى بيان عظمة هذا الحديث الشريف وما يتضمنه من الدرر.

منهج الدراسة:

اقتضى موضوع البحث أن يسلك فيه المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك باستقراء مفاهيم التنمية المستدامة ومكوناتها، وشروحات الحديث الشريف، وربطها بالواقع المعاصر بمنهجية تحليلية استنباطية.

وقد أملى علينا هذا الموضوع أن نقسمه إلى مبحثين، مهدنا لهما بمقدمة وأعقبناهما بخاتمة، ضمناها أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات.

–المبحث الأول: تعريف التنمية المستدامة ومرادفاتها وأركانها.

–المبحث الثاني: تخريج الأحاديث الأربعة وشرح الحديث المختار وقراءته وفق التنمية المستدامة.

الدراسات السابقة:

على حسب اطلاعنا وبحثنا، لم نقف على من تناول هذا الحديث على وجه الخصوص بالدراسة في موضوع التنمية المستدامة، فقد جاءت معظم الدراسات بالحديث عن التنمية المستدامة في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية بشكل عام.

المبـــحـــث الأول

تعريف الـــتـــنمـــية المســـتدامة ومرادفاتها وأركانها.

المطلب الأول: مفهوم التنمية المستدامة ومرادفاتها.

لا بد قبل البدء بالحديث عن أي مصطلح علمي أن نقف على أصل ذلك المصطلح وجذوره في اللغة العربية، ثم معناه عند علماء الفن الذين اقترحوا ذلك المصطلح، وذلك المسمى عند علماء المنطق بـــ "تحرير محل النزاع".

فنقول: يتكون مصطلح التنمية المستدامة من لفظتين، هما: "التنمية" و"المستدامة".

والتنمية في اللغة: مصدر من (نَمَى)، ونَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماءَ: زَادَ وكثر، وربما قالوا نما يَنْمُو نُمُوًّا. يُقَالُ: نَمَيْت الْحَدِيثَ أَي رَفَعْتُهُ وأَبلغته. ونَمَيْتُ الشيءَ عَلَى الشَّيْءِ: رَفَعْتُهُ عَلَيْهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ رَفَعْتَهُ فَقَدْ نَمَيْته. ونَمَّيْت النارَ: رفعتها وأَشبعت وَقودَها. والنَّامِيةُ مِنَ الإِبل: السَّمِينةُ. يُقَالُ: نَمَتِ الناقةُ إِذَا سَمِنَتْ[1].

ومما سبق نصل إلى ملخص يفيد بأن التنمية لغة هي الزيادة والارتفاع والنمو والارتقاء؛ بحسب ما سبق بيانه من أمثلة لاستخدامات هذه اللفظة.

الاستدامة في اللغة: من مادة (دَوَمَ): دامَ الشيءُ يَدُومُ ويَدامُ، وأَدامَهُ واسْتَدامَهُ: تأَنّى فِيهِ، وَقِيلَ: طَلَبَ دوَامَهُ، وأَدْومَهُ كَذَلِكَ. واسْتَدَمْتُ الأَمر إِذا تأَنَّيْت فِيهِ. والمُداوَمَةُ على الأمر: المواظَبة عليه. وَفِي رِوَايَةٍ عن عائشة رضي الله عنها: أَنها ذكرَتْ عَمَل رَسُولِ اللّهِﷺ ، فَقَالَتْ: ((**كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً**))[2]؛ شبهتْه بالدِّيمَةِ مِنَ الْمَطَرِ فِي الدَّوامِ وَالِاقْتِصَادِ[3].

---

[1] ينظر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط:٣ - ١٤١٤ هـ، (٣٤١/١٥-٣٤٢)، مادة (نَمَى)، ومحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، (١٣٤/٤٠)، مادة (نَمِيَ).

[2] أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئًا من الأيام، (٤٢/٣)، ح: ١٩٨٧.

ومن خلال التعريفات السابقة نستنتج أن الاستدامة في اللغة تطلق على الدوام والاستمرارية في أغلب الاستعمالات.

تعريف التركيب " التنمية المستدامة":

إن مفهوم التنمية المستدامة متعدد الاستخدامات ومتنوع المعاني لهذا ظهرت تعاريف متنوعة ومتعددة ومتداخلة؛ وذلك لأن مفهوم التنمية ارتبط بالعديد من حقول المعرفة فهناك تنمية بيئية، اقتصادية، اجتماعية...الخ. كما يعد هذا المفهوم من المصطلحات الحديثة نسبيًا، إذ تم استخدامه أول مرة عام 1987م. ففي عام 1987م، عرفت لجنة بريندتلاند التابعة للأمم المتحدة، الاستدامة على أنها " تعني تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها الخاصة"[٤].

وعرفت بأنها: تنمية حقيقية مستمرة ومتواصلة هدفها وغايتها الإنسان تؤكد على التوازن بين البيئة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بما يسهم في تنمية الموارد الطبيعية، وتمكين وتنمية الموارد البشرية وفق استراتيجية محددة لتلبية حاجات الحاضر والمستقبل[٥].

وبحسب موضوع بحثنا يمكننا تعريف التنمية المستدامة في مجال بناء الإنسان في السنة النبوية بقولنا: هي جملة من التوجيهات التي أرشد إليها النبيﷺ ، هدفها حفظ طاقات جميع الإنسان ثم تطويرها؛ لتحقيق الرقي الحضاري بنوعيه المادي والمعنوي؛ انطلاقا من مبدأ الاستخلاف الذي يجعل من الإنسان أمينًا ومحافظًا على كل الموارد المسخرة له، بعيدا عن الهدر المضيع لحقوق الأجيال القادمة.

---

[٣] ينظر: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:٤- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، (٩٢٣/٥)، مادة(دَوَمَ)، وابن منظور، لسان العرب، (٢١٢/١٢-٢١٤)، مادة (دَوَمَ).

[٤] الاستدامة- الأمم المتحدة، موقع الأمم المتحدة، تاريخ الوصول: ١٧يوليو٢٠٢٤م، رابط الموقع: https://www.un.org/ar/122274

[٥] ينظر: أ.د.مدحت أبو النصر، د .ياسمين مدحت، التنمية المستدامة مفهومها – أبعادها - مؤشراتها، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠١٧م، ص:٨١.

مرادفات لفظة الاستدامة:

هنالك جملة من الألفاظ في اللغة العربية تفيد معنى الاستدامة أو تقاربه، فيجدر الاطلاع عليها، لما لمعرفتها من كبير الأثر على تعميق فهم الباحث في هذا الموضوع، وتوسيع مداركه، ليكون مجال بحثه أدق وأوسع وأرحب، ومن أبرز تلك المرادفات:

-**الاستقرار**: من (قَرَرَ)، قال تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾[الأعراف:24] ؛ أَي قَرار وَثُبُوتٌ. في حديث ابن مسعود: ((**قَارَوا الصَلاة**))[٦]، هو من القَرَارِ لا مِنَ الوَقارِ، ومعناه السُكُونُ، أي اسكُنُوا فيها ولا تَتَحَرَكُوا ولا تَعْبَثُوا، وهو تفاعل من القرار. والقَرارُ والقَرارةُ مِنَ الأَرض: الْمُطْمَئِنُّ الْمُسْتَقِرُّ[٧].

-**المحافظة**: من (حَفِظَ)، والحِفْظ نَقِيضُ النِّسْيان وَهُوَ التعاهُد وقلّة الْغَفْلَةِ. والحافِظُ والحَفِيظُ الموكّل بِالشَّيْءِ يَحْفَظه. والمُحافَظة: تطلق على المواظبة والمراقبة[٨].

-**الاستمرار**: من (مَرَرَ)، واسْتَمَرَّ الشيءُ: مضى على طريقةٍ وَاحِدَة، وَقَالَ اللَّيْث: وكلُّ شيءٍ قد انْقادَتْ طَرِيقَتُه فَهُوَ مُستَمِرٌّ[٩].

-**البقاء**: من (بَقِيَ)، وبَقِيَ الشيء يَبْقَى بقاءً، وهو ضد الفناء يقال: ما بَقِيَتْ منهم باقية، ولا وقاهم من الله واقية.[١٠]

-**الصون**: من (صَوَنَ)، صون: الصَّونُ: أنْ تَقيَ شيئاً مما يُفسِدُه[١١].

-**العمارة**: من (عَمَرَ)، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره[١٢]. فعمارة الأرض هو المصطلح الشرعي الذي يرادفه حديثاً التنمية المستدامة؛ لأن

---

[٦] أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج - لبنان، مكتبة الرشد - الرياض، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (١٢٥/٢)، ح: ٧٢٥٠.

[٧] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (٨٢/٥-٨٥)، مادة (قَرَرَ).

[٨] المرجع السابق، (٤٤١/٧)، مادة (حَفِظَ).

[٩] ينظر: الزَّبيدي، تاج العروس، (١٠٣/١٤)، مادة (مَرَرَ).

[١٠] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٢٣٠/٥)، مادة (بَقِيَ).

[١١] المرجع السابق، (١٥٧/٧).

[١٢] ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (١٤٠/٤)، مادة (عَمَرَ).

مصطلح العمارة والتعمير يفيد الدوام والاستمرار؛ لأن أمر الشارع بالتعمير ليس خاصاً، بل عاما في الأفراد، وكذلك عاماً في الأزمان لكل من يتوجه إليه خطاب الشارع في كل زمان، فإذا كان الأمر بالعمارة متوجهاً إلى كل الناس وفي كل زمان، فالواجب على كل جيل أن يقوم بها في عصره، ثم يسلم الراية لمن يليه، والذي بعده يفعل فعله، ولا معنى للتنمية المستدامة إلا هذا[١٣].

المطلب الثاني: التنمية المستدامة وأركانها وأي جزئية يستهدفها هذا الحديث.

الأركان: جمع ركن والركن في اللغة بمعنى الجانب القوي. قال صاحب لسان العرب: ورُكْن الشَّيْءِ: جَانِبُهُ الأَقوى. والرُّكْنُ: النَّاحِيَةُ الْقَوِيَّةُ وَمَا تَقَوَّى بِهِ مِنْ مَلِكٍ وجُنْدٍ وَغَيْرِهِ، وَبِذَلِكَ فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الذاريات:39]؛ وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الذاريات:40]؛ أَي أَخذناه ورُكْنَه الَّذِي تَوَلَّى بِهِ، وَالْجَمْعُ أَرْكان وأَرْكُن[١٤].

والركن في الاصطلاح هو ما يقوم به ذلك الشيء من التقوم[١٥].

ومن أجل تحقيق التنمية المستدامة نتصور وجود أركان أربعة تقوم عليها، وهي:

1- الإنسان 2- المجتمع 3-البيئة 4- الاقتصاد

فالإنسان هو محور التنمية وهدفها، وهو حامل الأمانة من خالقه سبحانه وتعالى؛ لأنه مستخلف في هذه الأرض.

كما أن تأهيل المجتمع وتنميته يعتبر من أهم مكونات التنمية المستدامة؛ ولتحقيق ذلك لابد من الارتقاء بكل فرد من أفراد المجتمع، وبناء القيم الأخلاقية والسلوكية فيهم؛ لتحقيق الطمأنينة

[١٣] ينظر: د.أحمد محمد عزب موسى، التنمية المستدامة من مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف-دقهلية، العدد:٢٣، ٢٠٢١م، ج:٤.

[١٤] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (١٨٥/١٣)، مادة (رَكَنَ).

[١٥] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط:١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص:١١٢، باب الراء.

والاستقرار النفسي، بل والتكاتف والتلاحم والترابط بين أفراد المجتمع، وبالتالي تكون التنمية الاجتماعية بلا مراء مقصدا شرعيا.

والطبيعة بما فيها من موارد سخرها الله للإنسان لتلبية احتياجاته، وهو مطالب بعمارتها والمحافظة عليها بما في ذلك الهواء والمناخ والماء، والمحافظة على توازنها البيئي من خلال الحرص على نقائها، وتجنب الإسراف في استهلاك تلك الموارد.

وموقف الشريعة الإسلامية في الجانب الاقتصادي يظهر جليًا في حث الشارع على العدالة في قسمة المكاسب، ثم تنمية واستثمار المال وتحريم كتره قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [التوبة:34]، فالمال وسيلة قيام الحياة، كما أنه لم يترله الله ليكتره الناس، وإنما ليكون وسيلة إلى التنمية الاقتصادية والاستثمار الذي يعود نفعه على الأمة كلها.

وتحديدًا يعد الإنسان غاية الغايات للتنمية المستدامة، كما أنه أساسها، لذا كانت المحافظة عليه مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، وقد تبيّن من خلال الكلام في مفهوم التنمية أنّ الإنسان هو محور عملية التنمية وهدفها؛ بوصفه الكائن القادر على إحداث التغيير والتطوير، والقيام بعملية تنموية، وذلك بما اختصه به الله سبحانه وتعالى عن بقية الكائنات.

فالتنمية التي تهدف إلى راحة الإنسان، لا يتم تحقيقها أيضاً إلا بجهوده، فهو الذي يخطط لها ويسهر على تنظيمها ويشرف على تنفيذها، وذلك كلّه يتطلب تهيئة ذلك الإنسان وتأهيله للقيام بالعملية التنموية. ولذا، فليس هنالك من وسيلة تهيئه وتؤهله للقيام بهذه العملية أفضل وأولى من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فإنهما الهاديان للصلاح في الحال، والفلاح في المآل، وإنّ هدف التنمية المستدامة حسب الشريعة الإسلاميّة هو الإنسان، ولذا كانت العملية التنموية وسيلة مهمة، لتعلقها بأشرف المخلوقات وأكرمها وأحسنها تقويما، وغايتها تحقيق سعادته المادية والمعنوية، تحقيقاً ينسجم مع قصد الشارع من استخلافه في الأرض.

والمتفحص لأحاديث السنة النبوية يجد في ثناياها وسائل لتحقيق التنمية المستدامة في مجال بناء الإنسان والمجال الاجتماعي والمجال البيئي والمجال الاقتصادي.

وهذا البحث سيتمحور حول التنمية المستدامة في مجال بناء الانسان من خلال الحديث الشريف ((**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**)) أنموذجا.

المبحث الثاني

تخريج الأحاديث الأربعة، وشرح الحديث المختار، وقراءته وفق التنمية المستدامة.

المطلب الأول: تخريج الروايات الأربعة لحديث: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)).

إن المطلع على سنة النبي ﷺ والمدقق في ألفاظ الأحاديث الشريفة؛ يجد تحت كل حرف من الحروف -التي فاه بها من لا ينطق عن الهوى- كنوزا من اليواقيت والدرر وجواهر المعاني، إذ يندرج في تلك التوجيهات العظيمة الغالية، ما يكون سببا في سعادة الإنسان في دنياه وآخرته، كيف لا، وهو المبعوث رحمة للعالمين.

وإن حديث ابن عباس رضي الله عنه هو من جملة تلك الكنوز، التي تغنينا وتكفينا، وتطلعنا على خبايا نعتبرها بحق أسسًا في موضوع التنمية المستدامة المتعلقة بعنصرها الأساسي وهو الإنسان.

إن لهذا الحديث الشريف روايات عديدة، نورد أربعا منها ثم نختار واحدة منها لتكون محور الدراسة:

-الرواية الأولى للإمام الترمذي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: ((**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ**

بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفّتِ الصُّحُفُ))[١٦].

-الرواية الثانية وهي الأولى عن الإمام أحمد: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ رَكِبَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((يَا غُلامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصُّحُفُ))[١٧].

-الرواية الثالثة وهي الثانية عن الإمام أحمد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ لِي:((يَا غُلامُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، فَقَدْ رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفّتِ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتِ الْأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلّ لَكَ، لَمَا اسْتَطَاعَتْ، وَلَو أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ، مَا اسْتَطَاعَتْ))[١٨].

-الرواية الرابعة وهي الثالثة عن الإمام أحمد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: ((يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ،

---

[١٦] أخرجه الترمذي في باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، (٢٨٤/٤)، ح:٢٥١٦، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:١، ١٩٩٦.

[١٧] الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، مسند بني هشام، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، (٤٠٩/٤-٤١٠)، ح:٢٦٦٩، حسنه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، (٣٢٧/١).

[١٨] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، مسند بني هشام، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، (٤٨٧/٤-٤٨٨)، ح:٢٧٦٣، حسنه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر، (٣٢٧/١).

فَلَوْ أَنّ الْخَلْقَ كُلّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا))[١٩].

المقارنة بين الروايات:

جاءت ألفاظ الحديث بروايات متعددة، ولا تنافي بينها، كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى. هناك اختلافات يسيرة في متون الروايات الأربعة، ففي الروايات الثلاث الأولى جاءت العبارات: ((**إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**))، ((إِنّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ))، ((**إِنّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا**)) بصيغة الإنشاء، أما في رواية الإمام أحمد –الرابعة–: ((**أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**....)) جاءت العبارة بصيغة السؤال. وجاءت لفظة: ((**تُجَاهَكَ**)) في رواية الإمام الترمذي وروايتين عن الإمام أحمد، بينما في رواية الإمام أحمد الثالثة: ((**أَمَامَكَ**)). كما ورد في رواية الإمام أحمد الأخيرة: ((**تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**)) وزاد في آخره ((**وَاعْلَمْ أَنّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**)) بينما لم ترد المقاطع السابقة في رواية الإمام الترمذي والروايتين الأولى والثانية للإمام أحمد. كما جاءت عبارة: ((**رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفّتِ الصُّحُفُ**)) في نهاية رواية الإمام الترمذي ورواية عن الإمام أحمد، أما في رواية الإمام أحمد الثالثة فقد جاءت بالمعنى ذاته ولكن بلفظ مختلف في وسط الحديث: ((**قَدْ جَفّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ**))، كما وردت أيضًا في وسط الحديث في الرواية الثانية للإمام أحمد بزيادة لفظة ((**فَقَدْ**)) ومجيء لفظة ((**الْكُتُبُ**)) بدل ((**الصُّحُفُ**)): ((**فَقَدْ رُفِعَتِ الْأَقْلامُ،**

[١٩] مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، مسند بني هشام، مسند عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، (١٩/٥)، ح:٢٨٠٣، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: حسن جيد: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٧، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٤٦٢/١)، وحسنه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر، (٣٢٧/١)، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: حسن وله شواهد: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسن، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ص:٢٥٧.

وَجَفّتِ الْكُتُبُ)). وأما ما تبقى من المتن فقد تشابهت الروايات بالمقصود مع اختلاف في الألفاظ.

هذا وإن كل هذه الاختلافات الواردة في متن الحديث من حيث التطويل، أو الاختصار، أو تغيير لبعض الألفاظ، فإنها لا تؤثر في ثبوت معنى الحديث، ومردها جميعها إلى رواية الحديث بالمعنى. والله تعالى أعلم.

الرواية المختارة مع بيان السبب:

وقد اخترنا من هذه الروايات الجليلة أولاها؛ وإن كانت مختصرة مقارنة مع غيرها، وذلك لاشتمالها على مزايا، أهمها:

أولاً- الإيجاز، واشتمالها على صور بيانية عديدة.

ثانيًا- التدرج في الخطاب.

ثالثًا- أنه جاء بأسلوب التعليم وهو من وظيفة الرسول ﷺ ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:2]

والروايات الأخرى فيها زيادات. وهذه الزيادات نرجعها إلى:

-أنها قد تكون من أحد الرواة.

-أن يكون الراوي قد جمع بين أكثر من رواية في رواية واحدة.

المطلب الثاني: المعنى العام: [٢٠]

هذا الحديث ضمن الأربعين النووية، وقد شرحه علماء كثر، ومنهم الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم شرحاً عظيماً، ومما جاء في كلامه رحمه الله:"هذا الحديث تضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش، فوا أسفاً من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه"[٢١].

قول ابن عباس ﷺ: ((**كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ**)) أي على الدابة. قوله ﷺ: ((**يَا غُلَامُ**)) فيه الشفقة على الصبي وتعليمه. وناداه الرسول ﷺ بصيغة العموم؛ مع أنه ابن عمه، والقصد أنه عليه الصلاة والسلام يعلمه لنباهته واهتمامه ورغبته في التعلم والتعليم. قوله ﷺ: ((**احْفَظِ اللهَ**)) يعني: احفظ حدودَه، وحقوقَه، وأوامرَه، ونواهيَه. وحفظُ ذلك: هو الوقوفُ عندَ أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعندَ حدوده فلا يتجاوزُ ما أمر به إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلكَ، فهو مِنَ الحافظين لحدود الله الذين مدحهمُ الله في كتابه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [ق:32].

وقوله ﷺ: ((**يَحْفَظْكَ**)) يعني: أن من حفظَ حدود الله، وراعى حقوقَه، حفظه الله، فإنَّ الجزاء من جنس العمل. وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه، وولده، وأهله، وماله. والنوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظُ

[٢٠] ينظر: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣ هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٨٥/٧:١٨٦)، وعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، قوت المغتذي على جامع الترمذي، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي رسالة : دكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، ١٤٢٤ هـ، (٥٠٥/٢)، ومصطفى سعيد الخن، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، وعلي الشربجي، ومحمد أمين لطفي، نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط:٢٦، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م، (٧٩/١)، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، الوافي في شرح الأربعين النووية، دار الكلم الطيب-دمشق، ط:١٠، ١٤١٩ه-١٩٩٩م، ص: ١٣٢.

[٢١] ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٧، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص:٤٣٤.

الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينَه عندَ موته، فيتوفَّاه على الإيمان.

وقوله ﷺ: ((**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**))، وفي رواية: ((**أَمَامَكَ**)) معناه: أن مَنْ حَفِظَ حُدودَ الله، وراعى حقوقه، وجد الله معه في كلِّ أحواله حيث توجَّه يَحُوطُه وينصرُه ويحفَظه ويوفقُه ويُسدده. وإن كان الفعل الأول يفيد حفظ العبد في نفسه، فالثاني يفيد حفظ العبد في محيطه.

وقولهﷺ: ((**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**)) هذا مؤكد لما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[الفاتحة:5]، فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه. وفي النَّهي عن مسألة المخلوقين أحاديثُ كثيرة صحيحة، وقد بايع النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابه على أن لا يسألوا الناسَ شيئًا، وكان أحدهم ملتزما بذلك حتى إذا سقط سوطُه أو خِطام ناقته، لم يسأل أحدًا أن يُناوله إياه.[٢٢]

ويُفهم أن سؤالَ اللهِ تعالى دونَ خلقه هو المتعيَّن، لأن السؤال فيه إظهار الذلِّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعترافُ بقدرةِ المسؤول على دفع هذا الضَّرر، ونيل المطلوب، وجلبِ المنافع، ودرء المضارِّ، ولا يصلح الذلُّ والافتقار إلَّا لله وحدَه؛ لأنه حقيقة العَبادة.

وقوله ﷺ: ((**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ**)) أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين ((**فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**))؛ لأنه القادر على كل شيء، وغيره فيه عجز. فمن أعانه تعالى فهو المعان ومن خذله فهو

[٢٢] عن عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ: ((أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ " وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ. فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ: "أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ " فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ "أَلا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ " قال: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: "عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. وَتُطِيعُوا (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً) وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا)). رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، (٧٢١/٢)، ح: ١٠٤٣، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

المخذول، ومن ثم كانت «لا حول ولا قوّة إلا بالله» كنزاً من كنوز الجنة[٢٣]؛ لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها، إلى حوله وقوّته سبحانه وتعالى.

وقوله ﷺ: ((**وَاعْلَمْ أَنّ الْأُمّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ**.....)) ذلك أن الفعال لما يريد هو الله سبحانه وتعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكل ما قدره الله كائن، والعكس صحيح. فأَزِمَّة المخلوقات بيده يتصرف فيها بما يشاء، فهذا تقرير وتأكيد لما قبله من توحيد الله تعالى في لحوق النفع والضرّ على أبلغ برهان وأوضح بيان، وحثّ على التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جميع الأمور، وعلى شهود أنه القادر العليم النافع الضار.

واعلم أن مدارَ جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذُكِر قبلَه وبعدَه، فهو متفرِّعٌ منه، وراجعٌ إليه، فإنَّ العبد إذا علم أنَّه لن يُصيبَه إلا ما كتبَ الله له مِنْ خير وشرٍّ، ونفعٍ وضرٍّ، وأنَّ اجتهادَ الخلق كلِّهم على خلاف المقدور غيرُ مفيد البتة، فنفعهم أو ضرهم لا يخرج بحال من الأحوال عما كتبه الله تعالى لك أو عليك، عُلم حينئذٍ أن الله وحده هو الضَّارُّ النَّافعُ، المعطي المانع، فأوجبَ ذلك للعبدِ توحيدَ ربِّه عزَّ وجلَّ، وإفرادَه بالطاعة، وحفظَ حدوده، فإنَّ المعبود إنَّما يُقصدُ بعبادته جلبَ المنافع ودفع المضار، ولهذا ذمَّ الله من يعبد من لا ينفع ولا يضرُّ، ولا يُغني عن عابدِهِ شيئًا، فمن علم أنَّه لا ينفعُ، ولا يضرُّ، ولا يُعطي ولا يمنع غيرُ اللهِ، أوجبَ له ذلك إفراده بالخوف، والرجاء، والمحبة، والسؤال.

وقوله ﷺ: ((**رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ**)) أي: تركت الكتابة بها لفراغ الأمر وانبرامه ((**وَجَفّتِ الصُّحُفُ**)) التي فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ، أي فرغ من الأمر وجفت كتابته؛ فلا يمكن أن يكتب فيها بعد ذلك تبديل أو نسخ لما كتب من ذلك واستقرّ؛ لأنها أمور ثابتة لا تتبدّل ولا تتغير عما هي عليه، فذلك كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها والفراغ منها من أمد بعيد، وقد

[٢٣] أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا. ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)). في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، (٨٢/٨)، ح:٦٣٨٤.

دل الكتاب والسنة على ذلك، فمن علم ذلك وشهده بعين بصيرته هان عليه التوكل على خالقه والإعراض عما سواه[٢٤].

فوائد الحديث[٢٥]:

إن لهذا الحديث فوائد جمة ومن أهمها في نظرنا:

١. اهتمام النبي ﷺ بتوجيه الأمة، وتنشئة الجيل المؤمن المثالي، ولا غرابة فقد قال الله تعالى في وصفه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: 128].

٢. النبي ﷺ معلم، والآيات في هذا المعنى كثيرة. إنه عليه الصلاة والسلام يعلم الكلمات، فالحديث الشريف صار محفوظا في الكتب مكتوبا في كلمات، ومعروفًا صحيحه من عليله وفق ضوابط علماء الحديث الشريف.

٣. يحسن للمعلم أن يلفت انتباه المتعلم، ويذكر له أنه يريد أن يعلمه، قبل أن يبدأ بإلقاء المعلومات إليه، ليكون أوقع في نفسه، ويشتد شوقه للعلم ويقبل عليه برغبة. فنبينا عليه الصلاة والسلام أفضل معلم.

٤. من حفظ الله تعالى كان معه، يعينه وينصره، ويحميه ويؤيده، ويوفقه ويسدده، كلما حلك الظلام أو ضاقت به الأحوال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: 128].

---

[٢٤] ينظر: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:٧، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (١/ ٤٥٩:٤٩٥)، ومحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا،دار المعرفة- بيروت، ط:٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (٢٣٣/١:٢٣٦).

[٢٥] ينظر: مصطفى سعيد الخن، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، وعلي الشربجي، ومحمد أمين لطفي، نزهة المتقين، (٧٩/١)، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، الوافي في شرح الأربعين النووية، ص:١٣٣:١٤٧.

٥. إن الإيمان بالقضاء والقدر سكينة واطمئنان؛ لأنه يعلم العبد المؤمن أن الخير والشر بتقدير الله تعالى، وأن النفع والضر بإرادته، وليس للعالمين من الأمر من شيء خارج قضاء الله وقدره، فيعمل بما في وسعه ويترك الباقي على ربه، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: 78].

٦. تحريم سؤال غير الله تعالى مما لا يقدر عليه إلا هو (كالرزق والشفاء والنصر...)، وأما ما جرت عليه عادة الناس أن يتعاونوا فيه مما يقدرون عليه فلا مانع من ذلك (كالاستقراض والاستعارة والاسترشاد...).

٧. ما أثبته الله سبحانه وتعالى في أم الكتاب ثابت لا يتبدل ولا يتغير، وما وقع وما سيقع كله معلوم لله، ولا يقع شيء إلا بعلمه تعالى. وإذا تيقن العبد ذلك اطمأنّ، فلا مجال للخوف أو الطمع.

٨. الحديث يدل على أصل عظيم في مراقبة الله تعالى، ومراعاة حقوقه، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده، وتفرده وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه.

أ) **المطلب الثالث: علاقة السنة النبوية بالتنمية المستدامة.**

إن مصطلح (التنمية المستدامة) وإن كان حديثا في لفظه ومبناه؛ إلا أن مفهومه ومعناه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين. فقد حفل كتاب الله تعالى، كما طفحت السنة النبوية المطهرة بكثير من النصوص التي تمثل أركان التنمية المستدامة وركائزها، ذلك بأن رعاية حقوق الأجيال القادمة وحفظها هو أحد المقاصد الشرعية، حيث إن رعاية الشريعة الإسلامية للمكلفين لم تكن أبداً قاصرة على جيل دون آخر بل شملت جميع الأجيال، وهذا من جملة خصائص الشريعة الإسلامية؛ ولا عجب، فإنها هي الدين الكامل، والنعمة التامة، والشريعة الخاتمة لكل الشرائع الراعية لحقوق جميع الخلق في كل الأزمنة والأمكنة، فلم تأت هذه الشريعة في مقاصدها لرعاية جيل بعينه، بل لجميع الأجيال على اختلاف الأزمان، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء:107] فإن الشريعة الإسلاميّة جاءت لكلّ العوالم، وليست خاصة بفئةٍ، أو جنسٍ، أو طائفةٍ كما كان حال الشرائع من قبل؛ فقد أرسل الله تعالى نبيّه محمّداً للبشر عامّةً، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ [سبأ:28] ، وقال أيضاً على لسان نبيّه:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأعراف: 158]، فدلت الآيات على عموم هذه الرسالة للعالمين في كل زمان حتى قيام الساعة.

٢- وقوله عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧ ﴾ [الحشر:7].

فهذا النص الشريف في تقسيم الفيء وبيان كيفية تقسيمه، ثم جاء قوله عز وجل:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ [الحشر:10] ليدل بدلالة الإشارة على حق الأجيال القادمة في أموال الفيء ورعاية حقوقهم في هذا المال.

٣- إن الناظر في النصوص النبوية الشريفة وما فيها من أحكام الفقهاء يدرك أن كثيراً منها يدل على رعاية الأجيال الضعيفة والمقبلة وحقوقهم، ومن ذلك أبواب الفقه الواسعة، ابتداء بالطهارة وانتهاء بالعتق، ومرورا بالوقف، بل إن الشريعة المطهرة توسعت في تناول أحكام الجنين، فسنت له حقوقا كثيرة وهو في ظلمات بطن أمه، قبل أن ترى النور عيناه، وأوجبت المحافظة على صحته حتى منعت الأم من الصيام؛ إذا كان الصيام يضره، كما فرضت الشريعة له جملة من

الحقوق المادية، وهي الحقوق التي يكتسبها الجنين من جهة الشرع، سواء كانت مالًا أو عينًا، ويمكن أن نوجز بعضها في الأمور الآتية[٢٦]:

(١) الإرث. (٢) الوصية. (٣) الهِبَة. (٤) الشفعة.

ومن واجب القيِّم عليه متابعة هذه الحقوق والحفاظ عليها وتحصيلها؛ ولو عجز عن ذلك أو توانى، صار ذلك واجب الحاكم عملاً بقول النبي ﷺ: ((...**فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ**،...))[٢٧].

فقوله ﷺ "الناس" يشمل جميع أفراد الرعية كبارا وصغارا. وإن مسؤوليته تجاه الأطفال والأجنة وسائر الضعفاء أعظم من مسؤوليته تجاه الكبار البالغين؛ لعجز الضعفاء عن تحصيل حقوقهم بخلاف الكبار؛ ويتلو ذلك وضع الخطط لاستثمار حقوق الأجنة واليتامى ومن في حكمهم، ليستمر نماء المال.

٤- قول النبي ﷺ : ((**إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا**))[٢٨] فلا دليل أوضح منه على مدى حث الشريعة على العمل للمستقبل مراعاة لمبدأ التعاون والتكافل الإنساني. وهذا الحديث ختام المسك في هذا الإطار.

ب) المطلب الرابع: قراءة حديث: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)) وفق تحقيق مطلب التنمية المستدامة عبر إصلاح مفاهيم الإنسان عن الدنيا ونعمها وبيان حقوقه وواجباته تجاه نفسه والأجيال اللاحقة.

قد يتبادر للناظر في هذا الحديث من الوهلة الأولى أنه لا علاقة له البتة بموضوع التنمية المستدامة، ولكن لما نمعن النظر فيه نجدنه شديد الارتباط بهذا الموضوع؛ لأن مداره على بناء الكيان الداخلي الصحيح والسليم للإنسان، ودلالته على مصادر الطاقة الروحية، ولا غرو أن الإنسان ذا الروح الإيجابية، المبني من الداخل، أقوى بكثير من الإنسان ذي الروح السلبية

[٢٦] جميع كتب الفقه في الشريعة الإسلامية ذكرت هذه الحقوق وفصلتها وتوسعت في ذلك المطولات.
[٢٧] رواه البخاري في كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، (١٥٠/٣)، ح: ٢٥٥٤.
[٢٨] رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، (٢٥١/٢٠)، ح: ١٢٩٠٢، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة.

الأرضية المكبلة بأنواع الهموم والغموم، ومثال ذلك مثل من بنى بيتا من ورق؛ فإنه يتهافت لأدنى ريح تمر به، بخلاف من بناه بالحديد؛ فإنه يبقى كالجبل الراسخ لا تهزه العواصف، فالأول زائل لا يُنتفع به، ولا أمل في تحقيق التنمية المستدامة من خلاله، بخلاف الثاني، فإن الآمال كلها معلقة عليه، والأنظار متجهة إليه.

وإنما يتمثل بناء الداخل من خلال هذه التوجيهات النبوية الشريفة التي تبث في قلب الإنسان معاني الطمأنينة التامة، والعز الدائم، والسكينة المستقرة، وكل ذلك ناتج عن حفظ أوامر الله تعالى، والاستعانة به، والتوكل عليه، والإيمان بقضائه وقدره.

إن التربية الروحية للطفل تمثل صلب عملية التنمية المستدامة، وأقوى ركائزها، وإن مما يؤسف له أنه إذا ذكرت التنمية المستدامة؛ فقلما يكون ذلك مقرونا إلا بجملة من الأسباب المادية، دون تعريج على الأسباب المعنوية، لا سيما في مجال تربية الأبناء، حتى ساد الاعتقاد أنها تقتصر على توفير احتياجاتهم المادية فقط، دون التفات إلى الحاجات الروحية المعنوية، مع أنها الأولى بالاهتمام، ومن هنا وجب التيقظ لهذا الفهم الخاطئ، والتحذير من هذا الخطر الداهم الذي يدمر حياة الفرد، ثم الأسرة، ثم يأتي على قواعد المجتمع فينقضها.

إن هذا الإنسان هو العنصر الأساسي لهدم ثروة الأرض عندما يكون غير مستقر نفسيا، غير راض بما لديه، فهو عندئذ يتحول إلى الكائن الجشع الخائف البخيل المضطرب، ويكتنز بلا حد، ويستهلك بلا رقيب أضعف احتياجاته، غير مبال عن حاجيات الناس حوله، فضلا عن أن يفكر في الأجيال القادمة. وقد ضرب الله مثلا في قارون الذي بغى على قومه وجمع مالا طائلا، وذكرنا الله تعالى بأنه واحد من أمثاله الذين سبقوه وجمعوا أكثر منه وكانوا أشد منه قوة أيضا.

ويجب على الآباء والأمهات والمعلمين والمربين والمفكرين والمصلحين أن يخصصوا وقتًا كافيًا للتفاعل مع الناشئة والاستماع إليهم، وتوجيههم بالكلمة الطيبة، وضرب الأسوة الحسنة بأنفسهم، والإسهام في حل مشكلاتهم مهما بدت صغيرة في نظرهم، وإشباع عواطفهم بمشاعر الحب والحنان والاحتواء، ومصاحبتهم وتدريبهم على تحمل المسؤولية في حدود قدراتهم الجسمانية والعقلية، واستعداداتهم، كل ذلك انطلاقا من مبدأ التربية الروحية والسلوكية.

إن تربية الجيل وتوجيه أخلاقهم وضبط قيمهم نحو الفضائل والمعالي هو وجه عظيم من وجوه الاستثمار فيهم خاصة وفي المجتمع عامة، فيجب على الوالد المربي تعليم ولده معاني البر والأخلاق الفاضلة؛ ليجد ذلك منعكسا عليه عند الكبر وفي المجتمع، وذلك بأن يعلِّمه الارتقاء بالروح، من خلال مراقبة الله تعالى وذكره وطاعته والبعد عن معصيته، وأن يحيا الحياة؛ ليعطي أكثر مما يأخذ، وأن يصبح لبنة صالحة تقوم عليها جدران الوطن الشامخة، ويدرِّبه على حُسن التصرف والإدارة في كافة شؤونه. وخير ما يقتدي به الإنسان هم الرسل عليهم السلام فهذا سليمان عليه السلام قد أعطي ما لم يعط أحد قبله، فقام أحسن القيام، ورسولنا الكريم قد جاءه من المال شيء عظيم فأنفقه في سبيل الله تعالى، وأصحابه الكرام فتح الله لهم باب الرزق وتنافسوا في الإنفاق وعمل الخيرات. فهذا أبو بكر ﷺ قد أنفق كل ماله، وعمر بن الخطاب ﷺ نصف ماله، وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، ومن سار على نهجهم.

إن لب التنمية المستدامة وجوهرها يتمثل في بناء جيل ذي أخلاق نبيلة وخبرات غزيرة، يعتقد تماما بأنه مسؤول عن الجيل الذي يليه، يعني أنه يغرس شجراً، ليستفيد منه هو، كما يفيد جيلا لاحقا، وهذا الجيل اللاحق لن يكتفي بجني الثمر، ولكن عليه بدوره أن يزرع شجرا آخر يأكل منه من بعده، وهكذا... ومن هنا يكون الجيل المربى هو الذي يبني مستقبل مجتمعه، ويكمل مسيرة جيل سابق له، وفي هذا أخذ وعطاء، يمثلان عمود التنشئة الصحيحة.

وتفصيل ما سبق يأتي من خلال هذه النقاط:

أولًا–اغتنام الوقت: الوقت أثمن ما يملكه الإنسان وسوف يُسأل عنه:

وقد استنبطنا هذه الفائدة من قول ابن عباس رضي الله عنهما: ((كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ يَوْمًا، فَقَالَ)).

إن عمر الإنسان فرصته الوحيدة، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، فإن استثمره في الخير سعد سعادة الأبد، وكان مباركا أينما وجد، نافعا حيثما حل وارتحل، سببا لسعادة أهله ووطنه

والبشرية جمعاء، إذ صار عنصر بناء فعال يمنح الخير لكل الخلق، ويسعى في جعل ذلك الخير مستمرا دائما، ليستمر بذلك ثوابه، ويدوم أجره.

بخلاف من فرط في عمره أو استعمله في الشر، فقد جعل من نفسه معول هدم، يشقى به أهله ووطنه، ولا تسلم من شره الكائنات على اختلاف أنواعها.

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في اغتنام الوقت واستثماره في الخير، وإن حديث ابن عباس رضي الله عنه خير شاهد على ذلك.

فإن مما يجدر ذكره أن تلك اللحظات التي سمع فيها ابن عباس رضي الله عنه حديث النبي ﷺ ؛ لم يكونا فيها جالسين مطمئنين، بل كانا على ظهر دابة تنقلهما من مكان لآخر، فذلك الحال في نظر كثير من الناس وضع استثنائي انتقالي، لا يصلح لأي عمل، فضلا عن أن يكون صالحاً للتعلم أو التعليم، وهذا الوقت في نظر غالب البشر وقت مهمل لا قيمة له؛ لكن الحال عند معلم البشرية وطبيبها ﷺ ليس كذلك، فالعلم والتعليم لا ينبغي تركهما في حال من الأحوال، فإن العلم هو البركة العظمى، فمن فرط فيه فاته الخير الكثير، فلا ينبغي خلو زمان ولا مكان عنه مهما كانت الظروف، وإن العمر أثمن ما يملك الإنسان، وكل ثانية من ثوانيه جوهرة نفيسة، يجب استثمارها والاستفادة منها.

وقد حصلت بركة التعليم لهذه الدقائق، فأنتجت تلك الكلمات حبر الأمة وعالمها، ولم تقف الفائدة عند هذا الحد، بل اتسمت بالنماء والديمومة حيث تناقلت هذه الكلمات الأجيال، حتى أثمرت علماء حكماء فقهاء فتحوا العالم عندما أدهشوا سكان مشارق الأرض ومغاربها بما انطوت عليه صدورهم من الحب لخلق الله، والشفقة على عباد الله، وإرادة الخير لهم، وحرصهم على إخراج العالم من ظلمات عبادة الخلق إلى نور عبادة الخالق سبحانه وتعالى.

وما أجمل أن ينشأ الطفل منذ نعومة أظفاره على الاهتمام بوقته ووقت الآخرين، واحترامه ومحاولة استثمار كل لحظة فيما يعود بالخير على نفسه وعلى أسرته ووطنه وعلى البشرية جمعاء، مع الاعتناء بنقل الخير إلى الغير؛ فإنه أعظم طريق للتنمية المستدامة.

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ قال:

دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَهُ***إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَواني

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ ذِكرَها***فَالذِكرُ لِلإِنسانِ عُمرٌ ثانِي[٢٩]

ثانيًا–الاهتمام بالصبيان الذين وصلوا مرحلة الغلمان فإنهم أفضل مادة قابلة للتعلم وغرس القيم الصحيحة ومنها التنمية المستدامة فإنهم غدا قادة قومهم وحاملو مسؤولية مستقبلهم:

وقد استنبطنا هذه الفائدة من قول رَسُولِ اللهِ ﷺ لابن عباس: ((يا غلام)).

يتضح لقارئ حديث ابن عباس أو سامعه حقيقة عظيمة تتجلى في رؤية نبع حب وحنان يتدفق من قلب النبي ﷺ ليصبه في قلب غلام في عمر الزهور، حيث تجلى ذلك في اهتمام وحرص النبي ﷺ على استثمار دقائق رافق فيها طفلا من أطفال الأمة، ليعلمه درسا بل ليعطيه كنزاً، يكفل له حفظ نفسه وعزها وسعادتها، وطمأنينة قلبه وطهارته وسكينته، وذلك من خلال حفظ حدود الخالق سبحانه وتعالى، ومراقبته، والإخلاص له، والتوكل عليه، كل ذلك في كلمات معدودة جامعة موجزة، فكان درساً جليلا نافعا له ولجميع الأجيال من بعده إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فأي إسهام في التنمية المستدامة أوضح و أعظم وأجلى من هذا الإسهام؟! ومن أجل هذا الملحظ لم يترفع قائد هذه الأمة وحاكمها ﷺ عن محادثة ذلك الإنسان لكونه طفلاً، بل كان يخاطبه بكلمات عظيمة الوقع كبيرة الأثر، تهز الجبال الراسيات، وتلين لها القلوب القاسيات، كأنها موجهة لكبار الرجال، وهكذا كان نهج النبي ﷺ مع كثير من أطفال الأمة، لم يزل يتولاهم ويرعاهم ويقوم سلوكهم، ويعتني بهم، ويسقيهم علماً وحكمة من كأس لحظه الطاهر العفيف، ولفظه الفصيح الشريف.

وقد أشرنا بأن الغلام مرحلة من مراحل الإنسان ما بعد مرحلة الصبي إلى مرحلة البلوغ، أي بعد عالم الخيال الواسع وعدم الإحساس بأية حدود، حيث صار يفهم شيئا ويجهل كثيرا، يتعلم ويرى أن باب العلم واسع، يدرك حقيقته بأنه مخلوق، وعاجز، وضعيف، ومحتاج إلى ركن قوي

[٢٩] شعر أحمد شوقي-دقات قلب المرء قائلة له، تاريخ الوصول: ١٢أغسطس٢٠٢٤م، رابط الموقع: https://www.aldiwan.net/quote306.html

صحيح. ولا يوجد توجيه أو إرشاد أفضل من كلام الله تعالى وكلمات رسوله الكريم ﷺ .
وفي مثل حاله كل تكوين مجتمعي حديث العهد، سواء أكانت أسرة، أو مجتمعا، أو حتى دولة؛ فهو في حكم غلام بحاجة إلى توجيهات وإرشادات، فإن لم يجدها من منبع صحيح يتربص به ألف طريق معوج.
ويلاحظ أن الخطاب جاء بصيغة العموم (يا غلام) وإن كان المخاطب ابن عم رسول الله ﷺ و لم يخصصه بعينه؛ لتعم الفائدة، ويبقى الخطاب على عمومه ليشمل ابن عمه، وكل من يأتي بعده.

وقد دعا القرآن الكريم إلى العناية بالأبناء، فقال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ ﴾ [النساء:11]
وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم:6]
ومن هنا كان الاهتمام بالأطفال وتربيتهم من أعظم أنواع الاستثمار؛ لأنها ضمان التنمية المستدامة، وإن سلامة ورقي المجتمعات أساسها سلامة طرائق التربية، التي تقدم للمجتمع أفرادا صالحين قادرين على النهوض بها في كل المجالات.
نعم؛ إن أطفال اليوم هم رجال الغد، وقادة المستقبل، ولذلك أولت الشريعة الإسلامية الاهتمام البالغ بتربية الأطفال، لتكوين جيل مستقيم راسخ العقيدة قوي البدن كريم الأخلاق، قادر على تحمل المسؤولية والنهوض بأمته، فإن أهملنا تربيتهم؛ وقعت الكارثة، إذ سيكون النتاج شبابًا ضائعًا ما بين التطرّف والانحراف والإدمان.
وكم هو رائع أن يتم إدماج الطفل في المجتمع وفق عملية تنشئة اجتماعية فاعلة مستدامة، تساهم في إكساب الأطفال نسق حياة مفعمة بالهمة والنشاط، لا تعرف الإهمال ولا الكسل، مقرونة بمعايير أخلاقية عالية، أساسها مراقبة الخالق سبحانه وحفظ حدوده؛ لينتج عن ذلك سمو في العلاقات بين أفراد المجتمع، مع قابلية التعامل مع الجماعات المتعددة.
لا سيما وأن الطفل اليوم يعيش في عالم سريع متطور، هو أشبه بمدينة صغيرة، فوجب أن يكون طابع إعداده مؤهلاً له كي يجمع بين تقنية عصره، وموروثه الأخلاقي الديني، بحيث يصبح

بإمكانه في الغد أن يواصل تبليغ ما استفاد بنفسه وما ورث عمن سبقه إلى الأجيال التالية، وهذا هو لب التنمية المستدامة.

ثالثاً–أهمية العلم في الإسلام وبدء التعلم الصحيح أولا من زمن الغلام قبل أن تدخل عقله وقلبه المعلومات الخاطئة الضالة المضلة، التي سنجتهد لاحقا في إخراجها ليحل محلها المعلومات الصحيحة المنجية:

مستنبط من قول النبي ﷺ : ((إني أعلمك كلمات)).

لا تجد شريعة من الشرائع السماوية، أو قانونا من القوانين الوضعية عظم شأن العلم والعلماء كشريعة الإسلام؛ وأي دليل أوضح على هذه الدعوى من أن كلمة (اقرأ) هي أول كلمة نزل بها الوحي على قلب النبي ، وأن أول أمر إلهي هو الأمر بالقراءة، وأن أول أداة ذكرها الله تعالى في كتابه هي أداة التعلم: (القلم) حيث قال الله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾ [العلق:1،5].

وتنويهاً بمقام العلم، وتعظيماً لشأن العلماء، استشهد الله العلماء العاملين على وحدانيته فقال سبحانه وتعالى:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ [آل عمران:18].

ولذلك أثنى الله تعالى على العلماء؛ بأنهم هم من يخشى الله تعالى حق خشيته، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾ [فاطر:28]؛ ليعلم العباد أن طريق الوصول إلى خشية الله الموصلة إلى الجنة لا تتم إلا بمعرفة آيات الله تعالى والنظر في مخلوقاته، ولذلك جعل الله تعالى لأهل العلم منزلة سامية تعلو من سواهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ [المجادلة:11].

ومن أجل أن الإسلام يدعو إلى طلب العلم؛ فقد جعل الرسول طلب العلم فريضة على كل مسلم، وبين أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن طلب العلم طريق إلى الجنة فقال : ((**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**))[٣٠]

والإسلام يدعو إلى تعلم سائر العلوم الكونية النافعة، وبين أن أفضلها بعد علم الشريعة علم الطب، ونقل الذهبي في ترجمة الشافعي من "سير أعلام النبلاء" عنه قوله: "لا أعلم علما بعد الحلال والحرام، أنبل من الطب"[٣١]، ثم بقية العلوم.

وإنما كانت علوم الشريعة هي أفضل العلوم على الإطلاق؛ لأنها هي العلوم التي يعرف الإنسان بها خالقه عز وجل، ونبيه ﷺ ، وأحكام دينه، ولأنها بهذه المنزلة من العظمة؛ فقد كان تبليغها من وظيفة الرسل، ثم ورثتهم من العلماء العاملين، التي أكرم الله بها رسوله وعلمه إياها ليعلمها الناس: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:164]. والآيات في هذا الإطار عديدة، وفي الحديث الشريف تأكيد لها؛ بأن النبي ﷺ معلِّم وعلينا الاقتداء بكلماته.

وجعل علامة الخير في الإنسان توجهه إلى التفقه في الدين؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**))[٣٢].

وقد بين المهتمون والمتخصصون أهمية التعليم المستمر في التنمية المستدامة، وقد سبقهم الإسلام إلى ذلك بأربعة عشر قرناً، فلم يجعل للتعليم سنا معينا، فابتداؤه من المهد، لا ينتهي إلا عندما

[٣٠] أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، (٣٨٥/٤)، ح:٢٦٤٦. وقال: هذا حديث حسن.

[٣١] شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط:٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، (٥٧/١٠).

[٣٢] رواه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، (٢٥/١)، ح:٧١.

يصير الإنسان في اللحد، كما أن أمكنة التعليم جعلها في المساجد، التي هي أقدس بقاع الأرض، وأنها لا تغلق أبدا في وجه من قصدها لسائر العلوم، في أي ساعة من ليل أو نهار.

ولأهمية المساجد في الإسلام؛ فقد أقبل المسلمون يشيّدونها، ويعلون منابر العلم فيها أينما حلوا ورحلوا، فانتشر العلم وعم العالم النور بفضلها.

وهكذا أصبحت بلاد المسلمين قبلة العالم في سائر العلوم والفنون، وصارت أمة العرب رائدة التغيير الحضاري الذي شع نوره أرجاء المعمورة.

وقد شهدت بتلك الحقيقة الدكتورة زغريد هونكه في كتابها الشهير "شمس العرب تشرق على الغرب"، فذكرت أن المسلمين هم من أسسوا قواعد البحث العلمي الحديث، بل إن المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، في كتابه "حضارة العرب"، تمنى أنْ لو دخل المسلمون باريس، حتى تنعم بما لديهم من المعارف والعلوم.

ومع تطور العلوم وحاجة المسلمين إلى وجود جامعات متخصصة، ظل ارتباط التعليم بالمساجد قائماً إلى عهد قريب، ومن أمثلة ذلك: جامعة الأزهر، وجامعة الزيتونة، وجامع القرويين، والمسجد الأموي، والمسجد الأقصى بفلسطين، وغيرها كثير"[٣٣].

وإن المعارف الدينية والدنيوية هما عنصران أساسيان لنجاح التنمية المستدامة، مع ملاحظة أن العلوم الشرعية لها الحظ الأوفر في عملية التنمية، حيث تبني لنا الضوابط الدينية ميزانا دقيقا، وترسم لنا طريقا واضحا يجعلنا نسير في المهيع الصحيح لعملية التنمية والبناء من خلال معرفة الحلال والحرام؛ لأن غياب هذا الميزان يعني الدمار وضياع المكتسبات، حيث قال تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ

[٣٣] المساجد ودورها التاريخي في نشر العلم، موقع قطر الخيرية، تاريخ الوصول: ٧أغسطس ٢٠٢٤م، رابط الموقع:
https://www.qcharity.org/blog/2735/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D8%AF-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D9%86%D8%B4%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل:112].

وأما غياب العلوم الكونية؛ فإنه يؤدي إلى العجز عن الوفاء بمتطلبات الحياة اليومية، وما يتبعه من الاعتماد على الخارج في استيراد الآلات والأجهزة المتطورة، فتبقى البلدان الإسلامية عبارة عن أسواق استهلاكية كبيرة، لا وزن لها في قوى الإنتاج العالمية، متخلفة عن ركب التطور التكنولوجي، عاجزة حتى عن توفير الغذاء والدواء لعلاج الأمراض المنتشرة، فتكون أمة ضعيفة بكل المقاييس، وهنا تبدأ هجرة العقول الذكية النقية إلى البلدان المتقدمة لتزداد تقدما، كما تزداد بلدان المسلمين تخلفا.

رابعاً–الحفاظ على النفس الزكية أساس التنمية المستدامة إذ النفس الخبيثة أساس الهدم والخراب وعدم الاستدامة لنعم الله:

مستنبط من قول النبي ﷺ : ((احفظ الله يحفظك)).

إن سعي الإنسان للحفاظ على نفسه ونفوس الناس في المجتمع الذي يعيش فيه، ليكونوا في أحسن حال وأتم صحة وعافية، هو في الحقيقة سعي إلى تحقيق التنمية المستدامة في أجلى صورها، ولئن كان السعي للحفاظ على البيئة مهما، فلا يختلف ذوو الألباب أن الحفاظ على الإنسان الذي يعمر تلك البيئة أعظم أهمية. وقد جاء الوعد الإلهي على لسان رسول الله ﷺ بأن كل من حفظ الله تعالى، بأن عمل بطاعته وطاعة رسوله ، فلم يضيع الفرائض، واجتنب المعاصي، فإن الله تعالى يحفظ عليه جميع الخيرات، بما في ذلك قواه البدنية والعقلية والروحية.

والله جل وعلا يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:96]، والله تعالى يقول: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن:16]. كما أن الذنوب تفسد الأفراد والأمم، وهي سبب زوال الحضارات، وإن للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة ما

يعود بضرره على الفرد والجماعة. فمن تلك الأضرار البالغةِ والآثار السيئة أن المعاصي سببٌ لحرمان الأرزاق، وسببٌ لفشوّ الفقر وحرمان البركة فيما أُعطي العباد، جاء في المسند عن النبي: ((**إِنّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذّنْبِ يُصِيبُهُ**))[٣٤]، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إِنّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ وَوَهَنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ)[٣٥].

وإن من آثار الذنوب والمعاصي على البلاد والعباد أنها تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في الماء والهواء والزروع والثمار والمساكن وغيرها، قال جل وعلا: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم:41]، والمراد بالفساد في الآية النقصُ والشرور والآلام التي تحدث في الأرض.

ومن عقوبات ارتكاب الآثام انتشارُ الأمراض النفسيّة بين أفراد المجتمع، فتأثير الذنوب في القلوب كتأثير السموم في الأبدان، بل الذنوبُ أشد فتكاً. قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:13، 14]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ولا تحسبنَّ أنّ النعيم في هذه الآية مقصورٌ على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة هم كذلك، أعني: دار الدنيا ودار البرزخ ودارَ القرار. فهؤلاء ـــ أي: أصحاب الطاعة ـــ في

[٣٤] رواه الإمام أحمد في مسنده، تتمة مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان، (٦٨/٣٧)، ح:٢٢٣٨٦، حسنه ابن حجر في موافقة الخبر الخبر، (٣٢٧/١)، وحسنه العراقي كما في مصباح الزجاجة (١٨٧/٤)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ)، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط:٢، ١٤٠٣ هـ.

[٣٥] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (٤٢٣/١).

نعيم، وهؤلاء ـــ أصحابُ العصيان ـــ في جحيم، وهل النعيم إلاَّ نعيمُ القلب؟! وهل العذاب إلا عذاب القلب؟! وأيّ عذابٍ أشدّ من الخوف والهمّ والحزن وضيق الصدر؟!"[٣٦].

وأما من حفظ حدود الله تعالى؛ فهو في مأمن من الهموم والغموم وغير ذلك من الأمراض النفسية، فربنا جل وعلا يقول: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنعام:48]، ويقول عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحقاف:13]. ومن حفظ الله للعبد: أن يحفظه في صحة بدنه، وقوته، وعقله، وماله. قال ابن رجب الحنبلي: "قال بعض السّلف: العالم لا يخرف، وقال بعضهم: من جمع القرآن متع بعقله. وتأول ذلك بعضهم عَلَى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين: ٥] وهو أرذل العمر: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: ٦]. وكان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته، فوثب يومًا من سفينة كان فيها إِلَى الأرض وثبة شديدة. فعوتب عَلَى ذلك، فَقَالَ: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر. وعكس هذا أن الجنيد رأى شيخًا يسأل الناس، فَقَالَ: إن هذا ضيع الله في صغره، فضيعه الله في كبره. وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢]: إنهما حفظا بصلاح أبيهما. وقال محمد بن

[٣٦] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة - المغرب ، ط:١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص:٧٦.

المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ من الله وستره"[٣٧].

والخلاصة: أن من يسعى لتحقيق التنمية المستدامة فليجعل عنوان سعيه الحفاظ على طاعة الله تعالى، والرضا بقضائه وقدره، والسعي في الخير، والتوقي عن معاصيه، والبعد عن السخط بقضاء الله وقدره، والغضب، والخوف، والهم...

خامساً–العناية بتربية قلب الغلام وروحه باستشعار أن الله تجاهه يرشده، ويوجهه، ويقدم له كل ما يحتاجه في طريق نجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة:

وقد استنبطنا هذه الفائدة من قول رَسُولِ اللهِ ﷺ لابن عباس: ((احفظ الله تجده تجاهك)).

إن هذا الحديث الشريف يلفت انتباه عقلاء العالم إلى وجوب التنبه إلى قضية هي من أهم قضايا التنمية المستدامة، إذ تمثل جوهرها الثمين، وكنزها الدفين، وأساسها القويم، ألا وهي العناية بمنطلق ومبدأ جميع أعمال الإنسان؛ وهو قلبه، الذي جعله الله تعالى جوهرة تنطوي عليها أصداف عناصر الإنسان ومكوناته، المتمثلة في سائر جوارحه وأعضائه، فهو روحها ومنه غذاؤها؛ فإن سلم هذا القلب واستقام، واستراح بعدما وجد الطريق الصحيح والعلامات الواضحات أمامه؛ جاءت أعمال الجوارح جميعها مثمرة ناجحة تامة النتاج، دائمة العطاء، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم:24،25] وإن فسد هذا القلب واعوجّ؛ سرحت الجوارح يمينا وشمالا، وخبطت خبط عشواء، تمشي على غير هدى ولا نور ولا بصيرة، لينتج عن ذلك التخبط صور أعمال، تراها في الظاهر كثيرة، لكنها في الحقيقة عديمة الجدوى قليلة النفع محدودة

[٣٧] زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط:١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص:١٠٠.

العطاء﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم:26]. ألا وإن سر صلاح عمل الإنسان كامن في صلاح قلبه، ولن يصلح قلبه إلا بدوام مراقبة الله تعالى، واستشعار أن الله تعالى دائما معه، يسمعه ويراه. ويتبع هذا الإنسان توجيهات ربه في تعاملاته كلها، إذ إنه يعلم أنها صحيحة صالحة مرشدة سليمة سالمة منجية.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: "والصبي أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ وَقَلْبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَةٍ، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ مَا نُقِشَ، وَمَائِلٌ إِلَى كُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وشاركه في ثوابه أبوه وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ؛ شَقِيَ وَهَلَكَ وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رقبة القيم عليه والوالي له، وقد قال الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: 6] وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ عَنْ نَارِ الدُّنْيَا فَبِأَنْ يَصُونَهُ عَنْ نَارِ الْآخِرَةِ أَوْلَى، وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظَهُ من القرناء السُّوءِ..."[٣٨].

وفي القصة القادمة مثال يحتذى به في تربية الأطفال. ننقلها بكمالها لتعم الفائدة، وأوردها الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: "قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما: ألا تذكر الله الذي خلقك، فقلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك

[٣٨] الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة-بيروت، (٧٤/٣).

في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوما: يا سهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده، أيعصيه؟ إياك والمعصية"[٣٩].

وغير ذلك من القصص والأخبار التي تبين لنا مدى وجوب الاهتمام بقلوب الصبيان، وتدريبها على مراقبة الله تعالى، ولا شك أن ذلك خير معين على إنشاء جيل مستقيم، بعيد عن الغش والتدليس والنصب والاحتيال، متقن لعمله؛ لعلمه بأن الله تعالى رقيب على جميع حركاته وسكناته، سميع لأقواله، بصير بأفعاله.

إن مراقبة الله تعالى المثمرة لإتقان الأعمال ينتج التنمية الشاملة المستدامة، التي هي السبب الأساس في قيام جميع الحضارات؛ لأن الإنسان الذي بناها إنسان واع مسؤول، صاحب هدف واضح، يتبع المنهج الصحيح، ولا يخاف من عاقبة الأمور.

ولا بد من التنبيه في هذا المقام إلى أمر في غاية الأهمية، وهو حسن اختيار المعلم؛ فإن لروح المعلم أثرا بليغا في نفس المتعلم، فإذا كانت نفس المعلم طاهرة زكية، وكانت همته عالية سامية نبيلة، أنتجت كلماته في نفس المتعلم طاقة وسموا وهمة لا تعرف الحدود، بخلاف ما لو كان المعلم منحط الهمة، فإنه سيكون لكلماته في نفس المتعلم أثرا سلبيا مثبطا للعزيمة، قاتلاً للهمة إن لم يكن في العاجل ففي القريب الآجل بلا شك ولا ريب.

وقديما قال الفيلسوف الإغريقي المعروف أفلاطون: "هل نسمح للأطفال دون عناية لأن يستمعوا لأي شخص ولأي قصة؟ إنهم سيتلقون أخبارا وأحاديث لها معان هي أبعد ما تكون عما نريد لأطفالنا أن ينشؤوا عليه، وكالسموم الخطرة على الجسم، فكذلك هذه المعاني خطرة على عقول الأطفال ... وهذا ضد ما نود أن ينشأ عليه الأطفال وهم في طريقهم إلى أن يصبحوا كبارا"[٤٠]

فإذا كان المعلم هو سيد الأنبياء ﷺ فإن الأثر الإيجابي لإرشاده، سيتصف بالنور والخير المطلق والديمومة.

[٣٩] المرجع السابق، (١٧٤٣/٣).

[٤٠] ينظر:زكريا الشربيني، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، تاريخ الوصول: ٣١يوليو٢٠٢٤م، رابط الموقع: https://arabic-keyboard.info/books/ar/read-book

وإذا كان النبي ﷺ قد التحق بالرفيق الأعلى، فإنه يقوم مقامه العلماء العاملون المخلصون؛ فإنهم ورثة الأنبياء، فلا بد من ربط الأبناء بهؤلاء العلماء، فإنهم صمام الأمان، الحافظ لهم من الغلو والانحراف، والعاصم بإذن الله تعالى من سائر الشبه والمضلات والفتن والمحن، ولا يخفى على من له أدنى مسكة من العقل أن استقامة الأبناء له أحسن الأثر على تحقيق التنمية المستدامة، وأن انحرافهم وغلوهم الناجم عن الجهل، سيؤدي إلى ضياع الجهود والأوقات في محاولة إصلاحهم وردهم إلى جادة الصواب، سيما وأن القلوب إذا أعماها الجهل فقلما تعود إلى الإبصار، وهؤلاء قد يهدمون في لحظات ما بنته آباؤهم وأجدادهم في قرون.

سادسًا–سؤال الله وحده والاستعانة به، وفيه استرشاد في الحياة الدنيا بما شرعه الله تعالى، وفي الوقت نفسه الاعتراف بالعجز والضعف والحاجة:

وهذا المعنى مستنبط من: ((إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)).

إن الإبداع ركن من أركان التنمية المستدامة، فلا بد لكل زمان ومكان من أدوات ووسائل تتناسب مع حال ذلك الزمان والمكان، وإن الإنسان لا يكون مبدعا على وجه الحقيقة حتى يكون عصامياً، يواجه الأمور بنفسه؛ ليدعم ذاته، من غير اتكال أو اعتماد على أحد من الخلق.

وإن النبي الكريم ﷺ قد دفع أفراد أمته في هذا الاتجاه، فأمرهم أن لا يسألوا أحدا من خلق الله شيئا، وإنما يتوجهون بسؤالهم إلى الباري سبحانه وتعالى، وهذا منهج عظيم يربي النفس الإنسانية على أن يتولى الإنسان شؤون نفسه بنفسه، دون اعتماد على مخلوق. وفي هذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ما حك جلدك مثل ظفرك*فتول أنت جميع أمرك**[٤١]

وتأتي أهمية الدعاء في باب التنمية المستدامة من جهة؛ أنه ما من إنسان في هذه الدنيا إلا ويتعرض لصنوف المحن وأنواع البلاء وشديد الأزمات، التي تقود كثيرا من الناس إلى الانطواء على الذات، فيموت كمدا وقلقا وحزنا، وربما يلجأ بعضهم إلى الانتحار؛ فيخسر المجتمع ثلة من

[٤١] الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، تعليق: محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع-القاهرة، ٢٠٠٩م، ص:٨٩.

أفراده أعدهم للبناء والتنمية والتطوير، وبذل الكثير لتنشئتهم وتعليمهم وبناء أجسادهم، وتثقيف فكرهم، لكنه تغافل عن بناء قلوبهم وإعمارها بالإيمان برب عظيم قادر يأنس بمحادثته، ويتأمل منه حل معضلته.

وأما المؤمن فيتوجه بالسؤال إلى الله تعالى وحده، مما يمنحه القوة والثبات، ويبعث في روحه الأمل، ويترل عليه السكينة والطمأنينة إلى أن له ربا قويا قادرا على تبديل حاله إلى أحسن الأحوال، ويتكرر ذلك كلما تعرض لشدائد وأزمات صعبة يحتاج فيها إلى الثقة برب العالمين، والاعتماد على من بيده ملكوت كل شيء، مع الأخذ بالأسباب المباحة المتاحة التي تعين الإنسان بعد توفيق الله سبحانه على أن يتخطى مراحل صعبة في حياته.

فإلى كل من ظلمه العباد، وبرحت به الأحزان، وأكلتهُ الهموم، وتشتت فكره، وحار قلبه، ها هو خالق الكون وملك الملوك سبحانه وتعالى يفتح لك بابه إذ يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:186]

ولقد أرشدنا النبي ﷺ لمكانة الدعاء وعظيم شأنه، وبالغ أثره، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ**))[٤٢]. حتى عده من أفضل العبادات، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**))، ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: 60][٤٣].

[٤٢] أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، (٣٨٥/٥)، ح:٣٣٧٠، قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ الْقَطَّانِ، وَعِمْرَانُ الْقَطَّانُ هُوَ ابْنُ دَاوَرَ وَيُكْنَى أَبَا الْعَوَّامِ.

[٤٣] ذكره البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، ص:٢٤٩، ح: ٧١٤، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، ط:٢، ١٣٧٩ه.

سابعاً–الإيمان بالقدر عامل مهم لتحقيق التنمية المستدامة، فإنه يولد لدى الإنسان شعور الاطمئنان والرضا والقبول، وهو ما يكون إلا إيجابيا في التنمية، وفيه علاج لأمراض سلبية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، عدم الإيمان بالقدر خيره وشره يولد في الإنسان –حين يصيبه الخير– شعور الغرور، والتكبر، والطغيان. وعندما يصيبه الشر – أو يتغلب عليه بأن الشر قد يصيبه–؛ يولد لديه شعور الخوف والعجز، فيداويها بالبخل والجشع.

مستنبط من قوله عليه الصلاة والسلام: ((وَاعْلَمْ أَنّ الْأُمّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفّتِ الصّحُفُ)).

إن تمتع الإنسان بقلب قوي لا يعرف القلق أو الاضطراب، وله نفس طيبة تتحلى بالسكينة والرضا لا سيما عند حلول النكبات، يعد من أهم أسباب التقدم في العمل وارتفاع مستوى الإنتاج، وما يتلو ذلك من التخطيط للتنمية المستدامة، وتحصيل هذا الحال لا يتحقق على أتم صورة إلا لمن آمن بقضاء الله وقدره، وعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فينطلق في الحياة ليعمل بحيوية لا تعرف الخور، ونشاط لا يعرف الفتور.

بخلاف من لا إيمان له بالقضاء والقدر؛ فإنه يعيش حالة من الضنك، تدعوه للتقاعس والكسل والخمول، بسبب ما غزا قلبه من عوامل القلق الذي يفقد الإنسان سكينة النفس وأمنها ورضاها، من أجل تحسره على الماضي المؤلم، وسخطه على الحاضر المزعج، وخوفه من المستقبل المقلق. حتى إن بعض الناس يصيبه ما يكره في نفسه أو ماله أو ولده...، فيظل أعواماً يعيش آلامها، ويتخيل ذكرياتها السوداء، متحسرًا كئيبا حزينا، لا يعرف قلبه صبرا، ولا يُسمع من لسانه عبارة حمد ولا شكران لخالقه ومدبره، وإنما شعاره الأوحد: " ليتني، لو" ...

وقد عجز الأطباء والمرشدون والمصلحون الاجتماعيون، ورجال التربية، عن حل هذه المعضلة إلا بتوجيه المصابين نحو شيء واحد؛ هو أن ينسى الإنسان آلام أمسه، فلم يفلحوا؛ لأنهم عندما اصطدموا بالواقع تيقنوا أن الكلام شيء، والفعل شيء آخر، وأن العلم شيء، والعمل شيء آخر؛ ليخرجوا بنتيجة مفادها أن النسيان المأمور به لا يمكن للبشر تنفيذه إلا بمقابل، ولا مقابل

يغني عن فقد الإنسان أغلى ما يملك في الدنيا؛ إلا بوعده بشيء أعظم منه، ولا أعظم في الحقيقة من رضا الله ورحمته وجنته التي وعد بها الصابرين المحتسبين الراضين بقضاء الله وقدره. ومن هنا تأتي أهمية التذكير بأهمية الرضا بالقضاء، ودوره في حفظ الموارد الحالية، وتحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال تذكير الناس بأن المصائب والبلاء امتحانٌ للعبد، وهي علامة حب من الله له؛ وإنما الظفر لمن صبر، ففي الحديث الصحيح: ((**إِنّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنّ اللهَ إِذَا أَحَبّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**))[٤٤].وليتذكر قول الرسول ﷺ: ((**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنّ أَمْرَهُ كُلّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**))[٤٥]. وعلى المسلم إذا أصابته مصيبة أن يسترجع ويدعو بما ورد. فما أجمل تلك اللحظات التي يفر فيها العبد إلى ربه، ويعلم أنه وحده هو مفرج الكرب، وما أعظم الفرحة إذا نزل الفرج بعد الشدة، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾** ﴾ [البقرة:155-157]. وروى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ! أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا – إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**)). قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا. فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[٤٦].

[٤٤] أخرجه الترمذي في سننه، في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (٢٠٢/٤)، ح:٢٣٩٦.
[٤٥] رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (٢٩٥/٤)، ح: ٢٩٩٩.
[٤٦] رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، (٥٣١/٢)، ح: ٩١٨.

ونخلص إلى أن الإيمان بالقضاء والقدر يترع من القلوب أسباب العجز، ويدفع الأمة إلى العمل بهمة وحب ونشاط، والمؤمن هو الذي يعلم أنه لابد أن ينازع الأقدار بالأقدار، وأنه يسعى وهو مرتاح الضمير، فلا يحزن ولا يكتئب، ولا يغضب إذا فاته شيء، بخلاف غير المؤمن فإنه يتحسر على كل شيء يفوته. ولهذا تجد النبي ﷺ قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المؤمنِ الضَّعيفِ وفي كلٍّ خيرٌ. احْرِصْ على ما يَنفعُكَ، واسْتَعنْ باللهِ ولا تَعجزْ. وإنَّ أصابك شيءٌ فلا تقلْ: لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قدَرُ اللهِ وما شاءَ فَعَل، فإنَّ (لَوْ) تَفتحُ عملَ الشَّيطانِ**))[٤٧]. فهذا الحديث دعوة من النبي ﷺ إلى كل مؤمن أن يكون قوياً، متخذا الأسباب التي توصله إلى القوة؛ لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله، والمؤمن القوي هو الذي يعمر الأرض، وهو مؤمن مصدق بقضاء الله وقدره، لكنه لا يحزن إذا فاته شيء، ولا يكتئب، ولا يكون كبعض الناس يقول: لو أني فعلت كذا كان كذا ويتحسر؛ لأن (لو) تفتح عمل الشيطان العدو اللدود للإنسان، ويتمثل عمل الشيطان في شغل الإنسان عن أسباب الطمأنينة بما يزعجه ويقلقه، حيث قال الله تعالى: ﴿ **ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ** ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: 268]. وفي هذه الآية نجد سببا رئيسا لما يدعو إليه الشيطان حين يبعد الإنسان عن طريق الحق والإيمان بالقضاء والقدر. كما تضم الآية علاجا ناجعا لأمراض القلوب، يتمثل في التوبة والاستغفار والرجاء في فضل الله العظيم.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الموجز؛ نرجو أن نكون قد وفقنا لغرس فسيلة، أو بذر حبة، في أرض خصبة بيضاء تحتاج لأياد مخلصة تعمل كثيرا حتى تجلي حقائق هذا الدين العظيم الذي جاء لإسعاد البشرية في الحال، وفلاحها في المآل، وليعلم الناس جميعا أنه ما من خير خطر على بال

[٤٧] رواه مسلم في صحيحه، في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله....، (٢٠٥٢/٤)، ح: ٢٦٦٤.

بشر؛ إلا وقد سبق الإسلام في الدعوة إليه، وما من شر خطر على بال بشر؛ إلا وقد سبق الإسلام بالتحذير منه، وكل ذلك في أرقى مراتب الحسن، وأعلى درجات الكمال.

استعرضنا فيما سبق **[التَّنْمِيَةُ الْمُسْتَدَامَةُ فِي ضَوءِ الْحَدِيْثِ الشَّرِيفِ: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ)) (رواه الترمذي)]**، وندعو الله أن نكون قد وفقنا، راجين من الله حصول الإفادة منه لنا ولمن طالعه، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وبعض المقترحات والتوصيات التي نذكرها لتكون مفتاحًا لزملائنا الباحثين.

أولًا–النتائج:

– السنة النبوية غنية بالإرشادات التي تحقق التنمية المستدامة، فالسنة صالحة لكل زمان ومكان، وترشد إلى حل لكل متطلبات الإنسان المستجدة في الحياة.

– السنة النبوية تدعو إلى تحقيق التنمية المستدامة من خلال التوجيهات الحسية والمعنوية، الفردية والجماعية، وخاصة في حديث ((**يَا غُلَامُ**)) الذي هو موضوع دراستنا.

– لا سبيل لتحقيق التنمية المستدامة إلا بالتركيز على الجانب الروحاني في الإنسان من وقت صار فيه غلاما وإلى آخر حياته، من خلال غرس الخصال الإيجابية التي تشبع حاجاته الإيمانية والعقلية والجسدية، وتحميه من أمراض القلوب المدمرة لنفسه ومحيطه.

– إن حديث ((**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**)) يمثل لب التوجيه الروحاني وترسيخ العقيدة الصحيحة التي يحتاجها الإنسان في مسيرته نحو تحقيق التنمية المستدامة، وقد وقفنا على الفوائد التالية منه باختصار:

١– اغتنام الوقت: الوقت أثمن ما يملكه الإنسان وسوف يُسأل عنه.

٢– الاهتمام بالصبيان الذين وصلوا مرحلة الغلمان، فإنهم أفضل مادة قابلة للتعلم وغرس القيم الصحيحة ومنها التنمية المستدامة، فإنهم غدا قادة قومهم وحاملو مسؤولية مستقبلهم.

٣– أهمية العلم في الإسلام وبدء التعلم الصحيح أولا من زمن الغلام، قبل أن تدخل عقله وقلبه المعلومات الخاطئة الضالة المضلة، التي تحتاج لاحقا لإخراجها ليحل محلها المعلومات الصحيحة المنجية.

٤- الحفاظ على النفس الزكية أساس التنمية المستدامة، إذ النفس الخبيثة أساس الهدم والخراب وعدم الاستدامة لنعم الله.

٥- العناية بتربية قلب الغلام وروحه باستشعار أن الله تجاهه يرشده، ويوجهه، ويقدم له كل ما يحتاجه في طريق نجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

٦- سؤال الله وحده والاستعانة به، وفيه الاسترشاد في الحياة الدنيا بما شرعه الله تعالى، وفي الوقت نفسه الاعتراف بالعجز والضعف والحاجة.

٧- الإيمان بالقدر عامل مهم لتحقيق التنمية المستدامة؛ فإنه يولد لدى الإنسان شعور الاطمئنان والرضا والقبول، وهو ما يكون إلا إيجابيا في التنمية، وفيه علاج لأمراض سلبية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم الإيمان بالقدر خيره وشره يولد في الإنسان -حين يصيبه الخير- شعور الغرور، والتكبر، والطغيان. وعندما يصيبه الشر -أو يتغلب عليه بأن الشر قد يصيبه-، يولد لديه شعور الخوف والعجز، ويداويها بالبخل والجشع والطمع.

- يربي هذا الحديث الإنسان على العقيدة الصحيحة الراسخة؛ لينهض بكل ثقة واقتدار، مستعدا ليواجه تحديات الحياة؛ لأنه لا شيء يخرج من إرادة الله تعالى وقضائه وقدره. هذا الإنسان المربى في مدرسة المصطفى ﷺ قادر على أحسن القيام في مجال التنمية المستدامة، وتطويرها، والحفاظ عليها، وضمان استمراريتها قدر استمرارية البشر على وجه المعمورة- بإذن الله تعالى-.

ثانيًا- التوصيات:

- ضرورة الاهتمام المتواصل بدراسة السنة النبوية؛ وذلك لكشف ما تضمنته أحاديث رسول الله ﷺ من كنوز مخبوءة من العلوم المختلفة، ونشرها على عامة الناس؛ لتنير حياتهم.

- الاهتمام بتنمية الجانب الروحاني في الإنسان من خلال مراقبة الله عز وجل بالأقوال والأفعال، وفي تعامله مع نفسه ومع غيره من بني جنسه البشري عبر البحوث العلمية الرصينة.

- دراستنا مطروحة للنظر والتوجيه، فنرحب بكل ملاحظة وإرشاد وتنبيه، فما زلنا طلبة العلم وخدمه.

– قُدِّمَت الأبحاث في دور السنة النبوية في التنمية المستدامة، ولذا نرجو أن يتبع هذه الندوة ندوة جديدة أو مؤتمر علمي لبيان أوجه التنمية المستدامة في القرآن الكريم ليكتمل الموضوع من الوحيين.

هذا، واللهَ نسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ومرقومًا في صحائف القبول، وأن ينفعنا وينفع به إلى يوم الدين.

وفي الختام، نتمنى من خلال هذا البحث الموجز أن نكون قد سلطنا الضوء على إحدى القضايا المهمة التي يتم تناولها في العصر الراهن، ولعلنا أشرنا إلى خطوط عريضة فعالة في هذا الموضوع مستنبطة من الحديث النبوي الشريف، ولعل هذه الإضاءة تكون نواة لبحوث أعم وأشمل.

نسأل الله تعالى أن يجعله عملًا متقبلًا، فإن أصبنا فمن فضل الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فنسأله سبحانه المغفرة والهداية والسداد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١) إحياء علوم الدين، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة – بيروت.
٢) الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، ط:2، 1379ه.
٣) الاستدامة- الأمم المتحدة، موقع الأمم المتحدة، رابط الموقع: https://www.un.org/ar/122274
٤) المساجد ودورها التاريخي في نشر العلم، موقع قطر الخيرية، رابط الموقع: %/https://www.qcharity.org/blog/2735
-D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%AC%D8%AF
-D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7%
-D9%86%D8%B4%D8%B1%-D9%81%D9%8A%
D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%
٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م).
٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
٧) تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، زكريا الشربينى، رابط الموقع: https://arabic-keyboard.info/books/ar/read-book
٨) التنمية المستدامة مفهومها – أبعادها – مؤشراتها، أ.د.مدحت أبو النصر، د .ياسمين مدحت، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2017م، ص:81.
٩) التنمية المستدامة من مقاصد الشريعة الإسلامية، د.أحمد محمد عزب موسى، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف-دقهلية، العدد:23، 2021م، ج:4
١٠) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:7، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١١) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط:1، ١٩٩٦.
١٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة-بيروت، ط:4، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.
١٣) ديوان الإمام الشافعي، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تعليق: محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع-القاهرة، 2009م.
١٤) سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط:3، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٥) شعر أحمد شوقي-دقات قلب المرء قائلة له، رابط الموقع: https://www.aldiwan.net/quote306.html
١٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:4- ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٧) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.
١٨) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
١٩) قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة دكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، ١٤٢٤ هـ.
٢٠) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ط:1، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٢) لجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، ط:1، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، ط:3 - ١٤١٤ هـ، (15/341-342)، مادة (نَمَى).
٢٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:3، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٢٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٦) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت، ط:٢، ١٤٠٣ هـ.
٢٧) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، دار التاج - لبنان، مكتبة الرشد - الرياض، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.

٢٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسن، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط:١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٩) موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط:٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٣٠) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مصطفى سعيد الخن، ومصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، وعلي الشربجي، ومحمد أمين لطفي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط:٢٦، ١٤٢٥ه-٢٠٠٤م.
٣١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط:1، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٢) الوافي في شرح الأربعين النووية، مصطفى البغا، ومحيي الدين مستو، دار الكلم الطيب-دمشق، ط:١٠، ١٤١٩ه-١٩٩٩م.